الفصل الثالث

الحدسية الأخلاقية

الفصل الثالث

الحدسية الأخلاقية

أولاً: بدايات الميتا أخلاق

إذا كان الفصل الثانى من الكتاب يناقش الكيفية التى ظهر بها برتراند رسل كأحد المدافعين عن النفعية الأخلاقية، والتى جاءته بالفعل من خلال كتابات «جيرمى بنتام» و«جون ستيوارت مل»، حتى بدت رؤيته الأخلاقية نفعية الطابع مؤمنة بضرورة الأخذ بنتائج الأفعال الخلقية(*)، فإن هذا الفصل من الكتاب يناقش الصورة الثانية التى جاءت عليها النظرية الأخلاقية بوصفها نظرية مؤسسة على أسس ودعائم علمية، مناقشةٍ فيها خصائص المعرفة الحدسية، تلك النظرية المسماه بـ «الحدسية» Intuitionism والتى كان صاحب الفضل الأول فيها هو الفيلسوف التحليلى «جورج إدوارد مور(**)».

(*) يشير الكاتب إلى حقيقة مهمة وهى أن برتراند رسل أخفى فى فلسفته الأسباب التى جعلته يتحول عن نفعية «بنتام» و«مل» إلى تبنيه النظرية الحدسية كما آمن بها زميله وصديقه جورج إدووارد مور، فى حين أن رسل أشار إلى سبب واحد بعينه وهو ما أشرت إليه فى الفصل الأول، وهو أنه ترك النظرية النفعية لأسباب عائلية خاصة، ولكن لم يخبرنا رسل ما هى الأسباب العائلية أو الأسرية التى جعلته يترك فلسفة بنتام ومل، وقد أشار رسل بالفعل فى سيرته الذاتية إلى تبنيه للنفعية الأخلاقية كما كانت عند «بنتام» و«مل»، لذلك أردت هنا التنويه إلى كون النظرية الحدسية هى المرحلة الثانية من فكر رسل الأخلاقى، بينما النظرية النفعية هى النظرية الأولى لفلسفته الأخلاقية المبكرة.

(**) جورج إدوارد مور George Edward Moore فيلسوف إنجليزى معاصر، من مؤسسي ما يعرف بـ«الواقعية الجديدة» فى إنجلترا (الواقعية بالمعنى الأفلاطونى) ولد فى 4 نوفمبر 1873 فى إحدى ضواحى لندن من أسرة ميسورة الحال، وكان الإبن الثالث للدكتور (الطبيب) د. مورD. Moore. كما كان ثالث أختين له من البنات، وبعد ذلك رُزقت الأسرة ببنتين أخريتين، يعقبهما ولد، فكانت الأسرة الصغيرة+

إذا كان «رسل» استمد ملامح فكره الأخلاقى من «بنتام» و«مل» فى الطور الأول من حياته، و«جورج مور» فى النظرية الحدسية، فإن ذلك كله لا ينقص من قدر الفيلسوف شيئًا، بأن يقال عنه بأنه فيلسوف منطقي فقط، أو حتى فيلسوف من فلاسفة العلم أو اللغة، مما يقلل من دوره الأخلاقى فى الفكر الفلسفى، فإن الأخذ بهذه الوجهة من النظر يعد جحودًا لفكر فيلسوف عاش من أجل قلمه، والدليل على ذلك أن «رسل» حصل على درجة الأستاذية فى الرياضيات Mathematics عام 1893م، وقد مكث بعدها سنة أخرى حتى حصل على درجة الأستاذية فى العلوم الأخلاقية Moral Science وكان ذلك فى عام 1894م[1].

وعندما كان «بول إدوارد» بصدد مناقشة الرؤى المختلفة التى تبناها «رسل» فى

=عبارة عن أربعة ذكور، وأربع إناث. =وفى سن الثانية عشرة مرّ «جورج مور» بتجربة دينية عميقة إذ صار من الغلاة فى التدين، وفى الدعوة إلى المسيحية، وشعر بأن من واجبه الوعظ بكلام يسوع وتوزيع المنشورات الدينية. لكن هذه التجربة أتت بعكس المراد منها، إذ ملأت نفسه بالاشمئزاز وبعدم الرغبة فى =الاستمرار فى هذه التجربة. وربما كان فى هذه التجربة التى استمرت قرابة عامين ونصف العام أثرها فى فتور إيمانه الدينى فيما بعد. وتحت تأثير مناقشاته مع أخيه الشاعر توماس استيرج مور، اتخذ موقف اللاأدرية Agnosticism وكانت نزعة اللاأدرية - أى عدم الاكتراث بالدين بخاصة - قد انتشرت فى إنجلترا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتقوم على أساس أنه لا يوجد دليل قاطع على وجود الله، كما لا يوجد دليل حاسم على عدم وجوده.

وفى سنة 1892 دخل مور كلية الثالوث فى جامعة كيمبردج طالبًا يدرس الكلاسيكيات (الآداب اليونانية واللاتينية) لكنه فى بداية السنة الثالثة غير دراسته إلى الفلسفة، وأتم دراسة الأخلاق فى سنة 1896، وعلى أساس البحث الذى كتبه فى موضوع الأخلاق عند كانط انتُخب فى سنة 1898 زميلاً بالأكاديمية البريطانية لمدة ست سنوات (1898 - 1904) وفى أثناء هذه الفترة كان يُجرى مناقشات عديدة مع برتراند رسل، وألف أول كتبه الرئيسة وهو «مبادىء الأخلاق» Principia Ethica، كما ألف كتابًا صغيرًا بعنوان «علم الأخلاق» Ethics. وتوفى فى كيمبردج فى 24 أكتوبر سنة 1958 بعد أن بلغ سن الخامسة والثمانين.

انظر - دونالد جيليز: فلسفة العلم فى القرن العشرين، ترجمة ودراسة: حسين على، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، أم القرى للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، 2007م، تعليقات المترجم، ص90.

- عبد الرحمن بدوى: موسوعة الفلسفة، الجزء الثانى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1984م، ص ص 477-476.

- Look Also - G.E. Moore: An Autobiography , in, The Philosophy of G.E. Moore,, Edited by P.A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1942, p.3.

(1) R. M. Sainsbury: Russell, Routledge & Kegan Paul, London, Boston, Melbourne and Henley, 1979, p.3.

أطـوار حياتـه المختلفة، غفل «إدوارد» طـور النفعية الأخلاقيـة فى كونها الرؤية الأولى التى قدمها رسـل فى فلسـفته الأخلاقية، فجعل «النظرية الحدسـية» هى أول رؤية قدمها «رسـل» فى فلسـفته، وقـد قام «رسـل» بعـرض نظريته فى مقاله «عنـاصر النظريـة الأخلاقية» The Elements of Ethics الـذى تم نشره عام 1910م فى كتابه «مقالات فلسـفية» Philosophical Essays، وقد تبنى رسل فى مقاله «النظرية الحـدسـية» على النحو الذى قدمه «جـورج مـور» فى كتابه المسمى بـ»برنكيبيا إثيكا» Principia Ethica أى «أصول النظرية الأخلاقية»، حيث بدأ رسـل مقاله بمناقشـة قضية «الخير والسيء» Good and Bad و«الصواب والخطأ» Right and Wrong، فرأى أن «الخيرَ والسيء» كيفيات (أى طبائع وخصائص) تنتمى إلى موضوعات مستقلة عن آرائنا تمامًا، كما أن الدائرة Round والمربع square ينتميان إلى موضوعات مستقلة عن وجهات نظرنا[1].

والحق أن مقال «رسـل» السـابق ذكره، قد أعيـد نشره أيضًا فى نيو يـورك عام 1925م فى كتـاب «ويلفريـد سـيللرز» Wilfrid Sellars و«جـون هوسـبرس» John Hospers «قراءة فى النظرية الأخلاقية» Reading in Ethical Theory ولكن فترة خضوع «رسـل» لحدسـية مـور لم تسـتغرق وقتًا طويلاً، إذ سرعان ما انتابه الشـك فى أفكارها، بسـبب نقد الفيلسـوف الأمريكى «جـورج سـانتيانا(*)» فى مقاله «الأخلاق السـاكنة» Hypostatic Ethics المنشور

(1) Paul Edwards: Russell, Bertrand Arthur William, in, The Encyclopedia of Philosophy,vol 7, edited by, Paul Edwards, Macmillan Reference U.S.A, New York, 1996, p.251.

(*) جورج سانتيانا «George Santayana» فيلسوف أمريكى، ولد فى مدريد صباح يوم السادس عشر من ديسمبر لعام 1863، وقد تم تعميده بعد ميلاده بستة عشر يومًا فى الكنيسة الكاثوليكية «سان ماركوس»San Marcos، حيث ولد وحيداً لوالده «أوغسطين سانتيانا»Augustin Santayana لكنه كان أخاً لأخوة ثلاثة من أمه، وهى أسبانية كانت قد تزوجت زوجها الأول الأمريكي «جورج ستورجيس»George Sturgis وأنجبت منه هؤلاء الأطفال الثلاثة، كما وعدته قبل موته أن تنشأ أطفاله الثلاثة فى وطنه أمريكا، وأرادت أن تفي بوعدها، فأخذتهم ومعهم وليدها الجديد من زوجها الثانى الأسباني. سافر سانتيانا مع أمه فى= =التاسعة من عمره إلى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث عاشت أمه على هامش «الأرستقراطية» التجارية الأمريكية التى كان زوجها الأول ينتمى إليها.

ولقد زار سانتيانا إنجلترا عدة مرات فى عام 1896، حيث أقام علاقات واتصالات كثيرة مع برتراند رسل Bertrand Russell، ويبدو أن رسل هو الرجل الإنجليزى الأول الذى قابله سانتيانا عندما أرسل إلى جامعة اكسفورد، كما زار رسل الولايات المتحدة الأمريكية فى عام1886، حيث زار هارفارد لبضعة أيام وقدمه=

فى كتابه «رياح المذهب» Winds of Doctrine، فكان من آثاره أن تخلى «رسل» عن نظريته الحدسية[1]. وذلك خلافًا لـ «مور» الذى ظل متيقنًا من صدق نظريته طول حياته، بينما لم تستغرق مع رسل إلا زمنًا قصيرًا.

وهنا لابد من القول أنه ليس عجبًا أن يغير رسل من موقفه الأخلاقى، و يأتى بموقف آخر، فهذا هو المعهود عن فيلسوف عاش قرابة القرن من الزمان، وقد عبر عنه زميله «ألفريد جولس آير» بقوله «إن رسل لديه الكثير من الصفات والأفكار الخصبة دون مقارنته بأى أحدٍ من الفلاسفة، فقد كان يمتاز بمرونة الفكر، لدرجة جعلت أحد فلاسفة كيمبردج وهو «السيد برود»[*] Broad أن يقول عنه، «أن من عادة السيد رسل أن يقدم لنا نسقًا مختلفًا

= أحد الأشخاص لزيارة سانتيانا، ثم كون سانتيانا عنه انطباعات من منظور أن رسل مستمع جيد، وقد استمرت صداقتهم الحميمة حتى مات سانتيانا، ولقد أظهره سانتيانا فى إحدى رواياته وهى «البيوريتانى الأخير» the Last Puritan تحت اسم «جيم دارنلى» Jim Darnley وهو الاسم الحركي والمستعار للورد جيم الذى اعطاه سانتيانا إياه لصديقه رسل. وتوفى سانتيانا بداء السرطان في 26 سبتمبر لسنة 1952، قبيل بلوغه التاسعة والثمانين بأشهر قليلة.

انظر - سعيد على عبيد: فلسفة القيم عند جورج سانتيانا، نيو بوك للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2017م، 17 وما بعدها.

زكى نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، 1979، ص152.

- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1987، ص323.

وانظر أيضًا -

- Richard Butler: the Mind of Santayana, Routledge and Kegan Paul, London, 1965, P11.

(1) Paul Edwards: Russell, Bertrand Arthur William, op. cit, pp.251,252.

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «شارلى دنبار برود» Charlie Dunbar Broad من أبرز الفلاسفة التحليليين فى الفلسفة الإنجليزية المعاصرة، وهو واحدٌ من الذين بحثوا فى الابستمولوجيا والفلسفة التاريخية، وكذلك الفلسفة الخلقية وفلسفة العلم، كما كانت لديه بحوث فلسفية متعلقة بالفيزيقا، ولد فى تمام الحادية عشر مساءًا، يوم الثلاثون من ديسمبر لعام 1887م، فى «هارلسين» Harlesden بلندن، وحصل على شهادة التربية من كلية «دوليش» Dulwich بجامعة كيمبردج، وعلى الرغم من نجاحه فى جامعته إلا أنه لم يظهر كرجل علمى scientist بل تحول إلى الفلسفة عام 1910م حتى أصبح له صيتًا كبيرًا من خلال رجاحة عقله فيها، ومن عام 1911م إلى1920م عمل «برود» كمساعد أوليًا فى جامعة «القديس أندروس» St. Andrews تحت إشراف البروفيسير «ستوت» G. F. Stout أستاذ المنطق والميتافيزيقا، كما تبع «برود» أيضًا «ليود مورجان» C. Lioyd Morgan أستاذ كرسى الفلسفة فى جامعة «بريستول» Bristol، وكان ذلك فى عام 1920م، وبعد عدة سنوات نجح «برود» فى أن يكون محاضرا للعلم الأخلاقى فى كلية «ترينتى» Trinity تحت إشراف=

للفلسـفة كل بضع سـنوات وذلك على النقيض من صديقه «مـور» الذى لم يقدم غير فلسـفة واحدة»[1].

ولذلـك كانـت هناك عدة إشـكاليات تدور في ذهـن الباحث قبل أن يبـدأ في تحليل كنه فلسفة هذا الموضوع للوقوف على ماهيته وأسسه الجوهرية، منها:

1. إلى أى حد يعدُّ برتراند رسـل فيلسـوفًا واقعيًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى؟ أعنى هل كان للفلسـفة المثالية الألمانية التى قام بتفنيدها أثرٌ واضح فى فلسـفته الأخلاقية؟ وما الدعائم التى ارتكز عليها لتدعيم موقفه فى تهافت المثالية؟

2. ما هى طبيعة النظرية الحدسـية فى فلسـفة الأخلاق المعاصرة؟ ولماذا كان هناك تباين بينها وبين مشكلات السلوك الخلقى Moral Conduct؟

3. وما هى الطبيعة العامة للتصورات الأخلاقية المسماه بالميتا أخلاق النقدية؟

= «ماكتجارت». وفى كيمبردج تأثر برود بأساتذته وهم «ماكتجارت» و«جونسون» Johnson وكذلك «رسـل» و«مـور» وكان للفلاسفة الأربعة السابق ذكرهم الأثر الواضح فى تنوع أفكاره، واهتماماته العلمية والخلقية، من أهم كتبه «طبيعة الوجود»، و«الخلفية التاريخية المنطقية» و«الفلسفة التأملية والنقدية»، و«فلسفة فرنسيس بيكون»، و«الفكر العلمى»، و«العقل ومكانته فى الطبيعة»، وكان من أهم كتبه فى مجال الفلسفة الأخلاقية كتابه المعروف باسم «خمس أنماط للنظرية الأخلاقية» Five Types at Ethical Theory عام 1930م، حيث قدم فيه تفسيرا ونقدا لأهم خمس نظريات أخلاقية لـ «اسبينوزا»، «بتلر»، «هيـوم»، « كانط»، «سيدجويك».

انظـــر:

- C. D. Broad: Autobiography. In. The Philosophy of C. D. Broad, Edited by, P.A. Schilpp, Tudor Publishing Company, New York, 1959, p.3.
- Robert Brown: Broad, Charlie Dunbar, in, The Encyclopedia of Philosophy,vol 1, edited by, Paul Edwards, Macmillan Reference U.S.A, New York, 1996, p.396.
- A. R. Lacey: A Dictionary of Philosophy, Routledge, Third Edition, London, 1996, pp.37,38.

- وأيضًا: خالد عبد الله محمود خفاجى: الأخلاق ومنهج البحث العلمى فى فلسفة برود، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بنها، جامعة الزقازيق، 1999م، ص ص26-21.

(1) A. J. Ayer: Russell and Moore, The Analytical Heritage, Macmillan Press, London and Basingstoke, 1971, p.9.

4. ما هو مفهوم الخير فى فلسفة رسل الحدسية؟ وهل جاء تصوره للخيرية الأخلاقية متفقًا مع تصور «مـور» فى خيريته أو «ايونج(*)» فى ينبغيته عن فلسفة الواجب؟

ثانيا: تهافت المثالية

هل كان رسـل فيلسـوفًا مثاليًا؟ و إذا كان كذلك فمتى بدأت المثالية عنده؟ وكيف بدأت الثورة عليها؟ و إلى أى حد وبأى معنى كان فيلسوفًا مثاليًا؟؟

هذه تسـاؤلات تستحق دراسات منفصلة فى ذاتها، ولكنها يمكن أن تثار هنا داخل السياق العام لهذا البحث، ومن ثم تكون الإجابات التى ستقدم محدودة العمق والنطاق واليقين.

فى البدء يقرر رسل حقيقة مهمة وهى أن الفلسفة الأكاديمية خلال القرن العشرين، قد انقسمت إلى ثلاثِ فرقٍ أساسية، الأولى: أتباع الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، متمثلة فى فلسفة كانط وأحيانًا هيجل، والثانية: تتكون من البرجماتيين، والثالثة: كانت ممن يتصلون بالعلم على اعتقاد أن الفلسفة لا تقتصر على لون بعينه من ألوان الحقيقة، ولا بطريقة خاصة للوصول إليها[1].

(*) هو الفيلسوف الإنجليزى «الفريد سيريل ايونج» «Alfred Cyril Ewing» 1899 - 1973 ينتمى إلى الفلاسفة الواقعيين، هؤلاء الذين ثاروا فى مفتتح القرن العشرين على المذهب المثالى الهيجلي فى صورته التى قدمها «برادلى» و«ماكتجارت» و«جرين» وغيرهم من الفلاسفة المثاليين فى ذلك الوقت، والذين اتخذوا من جامعة أوكسفورد معقلاً لهم. وقد ساهم «ايونج» فى هذه الحركة «الواقعية» بكثير من المؤلفات بين كتب ومقالات، منها كتابه الضخم عن «المثالية» وهو الكتاب الذى وصفه فى عنوان فرعى بأنه «مسح نقدى للمثالية»، وله فى هذا الصدد، أيضًا، كتابان ومقال، وجميعهم فى نقد فلسفة « كانط »، وأول الكتابين هو « نقد تصور كانط للعلية» 1924، والثانى « تعليق مختصر على كتاب كانط نقد العقل الخالص»1938، وقد أكد فى الكتابين على ضرورة وجود «نظرية واقعية فى المعرفة»، أما المقال فقد كرسه لبيان «التناقضات الموجودة فى نظرية كانط الأخلاقية» 1938.

ويعد ايونج صاحب نظرية حدسية intuitionism فى الأخلاق وذلك إذا وضعنا نظريته فى مواجهة النظريات «الوضعية» الخالصة أو ما يطلق عليه النظريات الطبيعية naturalism وهى تلك النظريات التى تحاول تعريف التصورات الأخلاقية الأساسية فى حدود تصورات علوم أخرى غير علم الأخلاق، كأن نعرف «الخير» بتصورات مستمدة من علم النفس أو علم الاجتماع أو الأحياء.

انظر- محمد مدين: الفريد ايونج، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص11 - 14.

(1) برتراند رسل: فلسفة القرن العشرين، مقال منشور فى كتاب- فلسفة القرن العشرين، تحرير: راجوبرت د. رونز، ترجمة: عثمان نويه، مراجعة: زكى نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963م، ص10.